

المباشر . وسوف أعدُّ من المتفق عليه أن الشعب يجد التعبير الأكثر وعياً عن أعمق مشاعره في شعر لغته الخاصة أكثر مما يجده في أي فن آخر أو في شعر اللغات الأخرى . وهذا لا يعني ، بالطبع ، أن الشعر الحقيقي يقتصر على المشاعر التي يستطيع كل امرئ أن يتبينها ويفهمها ؛ فلسنا مضطرين إلى أن نقصر الشعر على الشعر الشعبي ، وكفي أن تكون المشاعر الأكثر إرهافاً والأكثر تعقيداً في شعب متجانس مرتبطة بشيء ما مشترك مع المشاعر الأكثر ابتدالاً وبساطة ، ولا يجمعها شيء مشترك مع ذلك الشعب المعادل لها في المستوى والناطق بلغة أخرى . وعندما تكون حضارة ما في وضع صحي فإن الشاعر العظيم سيكون لديه ما يقوله لأبناء وطنه على اختلاف مستويات ثقافتهم .

وفي وسعنا أن نقول أن واجب الشاعر ، بحكم كونه شاعراً ، لا يكون إلا غير مباشر تجاه شعبه ، أما واجبه المباشر فهو تجاه لغته ، فواجبه الأول أن يحافظ ، والثاني أن يتوسّع ويحسن ، وفي تعبيره عما يحس به شعب آخر إنما يكون مغتبراً للشعور بعمله أكثر وعياً ، وهو يجعل الناس أكثر وعياً بما يشعرون به من قبل ، ولذلك فهو يعلمهم شيئاً يتصل بأنفسهم . ولكنه ليس مجرد شخص أكثر وعياً من الآخرين ، وإنما هو ، أيضاً ، مختلف بصفته الفردية ، عن الآخرين من الناس وعن الآخرين من الشعراء أيضاً ، وهو يستطيع أن يجعل قراءه يشاركونه مشاركة واعية في مشاعر جديدة لم يعانوها من قبل . وذلك هو الفرق بين الكاتب الذي هو مجرد شخص غريب الأطوار أو مجنون والشاعر الأصيل . فالأول يمكن أن تكون لديه مشاعر فريدة ولكن لا يمكن لأحد أن يشاركه فيها ، ومن أجل ذلك تعتبر عديمة الفائدة . والثاني يكتشف تلويناً جديدة للإحساس يستطيع اقتباسها الآخرون وهو إذ يعبر عنها فإنما ينمى ويعني اللغة التي ينطق بها .

لقد تحدثت بما يكفي كل الكفاية عن الفروق البالغة الدقة بين مشاعر شعب وآخر ، وهي فروق تؤكدتها وتنميتها لغتاهما المختلفتان . ولكن الناس لا يبلون العالم بصور مختلفة في أماكن مختلفة فحسب ، بل يبلونه بصور مختلفة في أزمنة مختلفة . وفي الحقيقة يتغير إحساسنا على الدوام عندما يتغير العالم من